

إبراهيم عليه السلام مدرسة التوحيد واليقين التي تمتد رسالتها من فجر النبوة إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم



الأحد 20 سبتمبر 2026 05:00 م

تُعد قصة إبراهيم عليه السلام من أطول القصص القرآنية بعد قصة موسى عليه السلام، إذ تمتد آياتها في أكثر من جزء من القرآن الكريم، ونزلت مشاهدتها منذ المرحلة المكية المبكرة حتى أواخر المرحلة المدنية. وهذا الامتداد يكشف مكانة إبراهيم الخليل في بناء العقيدة، وتربية الأمة، وترسيخ مقاصد القرآن الكريم في القلوب والعقول.

فليست قصة إبراهيم عليه السلام سرًا لأحداث مضت، بل هي منهج متكامل في معرفة الله، والثبات على الحق، والتضحية في سبيله، والدعوة إليه بالحكمة والحوار. وقد عرض القرآن الكريم سيرته لتبقى القدوة حاضرة في حياة المسلمين، ولتؤكد أن الطريق إلى التمكن لا ينفصل عن الابتلاء والصبر والوفاء بالعهد.

إبراهيم عليه السلام إمام وقدوة

قدّم القرآن إبراهيم عليه السلام نموذجًا للشخصية السوية التي تستحق أن تكون مثلًا أعلى للبشر، فقال تعالى: {إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا} [البقرة: 124]. فهو إمام في العقيدة والعبادة والدعوة والصبر، وقد اجتاز الابتلاءات جميعها مؤمنًا ثابتًا لا يتراجع عن أمر الله.

ووصفه الله سبحانه بقوله: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً} [النحل: 120]، لأنه جمع من خصال الخير ما يكون في أمة كاملة، ولأنه وقف وحده أمام الشرك والباطل، ثابتًا على التوحيد. وقال تعالى: {وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى} [النجم: 37]، أي وفّى بما كلف به، فلم يقدم هوى النفس على أمر ربه.

وأصبح إبراهيم عليه السلام رمزًا خالدًا للتوحيد في عصره وفي كل العصور، قال تعالى: {وَجَعَلْنَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يُحْذَرُونَ} [الزخرف: 28]. وهذه الكلمة هي كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، التي أوصى بها أبناءه وذريته، فحملها رسل متتابعون حتى جاء محمد صلى الله عليه وسلم من نسل إسماعيل عليه السلام، خاتم الرسل وأشبه الناس بإبراهيم في الدعوة إلى إفرااد الله بالعبادة ومحاربة الشرك بكل صوره، كما أشار البدارين في الصفحتين 15 و16.

التوحيد أساس ملة إبراهيم

تؤكد قصة إبراهيم عليه السلام أن دين الأنبياء جميعًا هو التوحيد الخالص والدين الحنيف، من إبراهيم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: {مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ} [الحج: 78]، وقال سبحانه: {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا} [النساء: 125].

وهذا الدين هو الدين القيم الذي يحرر الإنسان من عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق، قال تعالى: {ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} [يوسف: 40]. ولذلك فإن كل انحراف عن التوحيد يقطع صلة صاحبه بمنهج الأنبياء، مهما ادعى قربًا منهم أو انتسابًا إليهم.

وقد تبرأ إبراهيم عليه السلام من أبيه حين ظهر له إصراره على عداوة الله والشرك به، فقال تعالى: {فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ} [التوبة: 114]. فإذا كان إبراهيم قدّم العقيدة على رابطة الأبوة، فكيف يصح أن يدعى أتباعه من انحراف عن دينه من المشركين أو من غيروا رسالات موسى وعيسى عليهما السلام؟

ولهذا ردّ القرآن على العرب المشركين واليهود والنصارى الذين اتخذوا الانتساب الديني وسيلة لإضفاء القداسة على أنفسهم أو لقيادة الناس بغير الحقّ فالوراثة الحقيقية لإبراهيم ليست وراثة النسب، وإنما وراثة الإيمان والعمل، قال تعالى: {إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ} [آل عمران: 68].

صلة المسلمين بأبي الأنبياء

عقّق القرآن الكريم الصلة بين إبراهيم عليه السلام، أبي الأنبياء، وبين المسلمين أتباع محمد صلى الله عليه وسلم فقد ذكر اسم إبراهيم تسعًا وستين مرة في خمس وعشرين سورة مكية ومدنية، وتوزعت مشاهد قصته في سبعة عشر جزءًا من القرآن، حتى يظل حاضرًا في وجدان المسلم بوصفه رمزًا للتوحيد والإسلام والقُدوة الصادقة

وخاطب الله محمدًا صلى الله عليه وسلم بعد ذكر عدد من الأنبياء بقوله: {أَوَلَيْكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ} [الأنعام: 90]، وقال سبحانه: {وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا} [مريم: 41]. فالاعتداء بإبراهيم عليه السلام جزء من الاقتداء بهدي النبوة جميعًا

وتتجدد هذه الصلة في كل صلاة؛ إذ يتجه المسلم إلى الكعبة المشرفة التي رفع إبراهيم عليه السلام قواعدها، ثم يختم صلاته بالصلاة الإبراهيمية كما تتجلى في الحج، حين يلبي الحاج استجابة للنداء الذي أمر الله به إبراهيم، فقال تعالى: {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ} [الحج: 27].

وتستحضر مناسك الحج سيرة إبراهيم وإسماعيل وهاجر عليهم السلام: الإحرام والتلبية، والطواف حول الكعبة، والسعي بين الصفا والمروة، وبئر زمزم، ومقام إبراهيم، والأضحية التي تذكر بقصة الفداء العظيم، ثم طواف الوداع وهكذا لا تنفصل عبادة المسلم عن آثار هذه الأسرة المباركة ومدرستها الإيمانية

كما تذكر الأذكار المسلمين بإبراهيم الخليل عليه السلام؛ فعن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لقيت إبراهيم ليلة أُسري بي، فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر». وقد أورد البدارين هذا الحديث في الصفحة 17.

الحوار والهجرة وبناء الأسرة

تزودنا قصة إبراهيم عليه السلام بتجارب عظيمة في الدعوة إلى الله بالحوار والحجة والرفق والثبات فقد بدأ دعوته منذ صغره، وواجه قومه بالحكمة، وكشف بطلان عبادة الأصنام، وواجه الانحراف دون أن يتنازل عن التوحيد أو يساوم عليه

وتعلّمنا القصة أن الهجرة في سبيل الله ليست هروبًا من الواقع، بل انتقال بالدعوة من موضع التضيق إلى فضاء أوسع لعبادة الله ونشر الحقّ فإبراهيم عليه السلام التزم بأمر ربه في كل مراحل حياته، فكان قدوة في الدعوة، والهجرة، والصبر، والتسليم، والثقة بوعده الله

كما تكشف القصة أن بيت إبراهيم عليه السلام كان مدرسة للتربية الإسلامية؛ ففيه إبراهيم وزوجه هاجر وابناه إسماعيل وإسحاق عليهم السلام، نماذج في الإيمان والطاعة والتضحية وهي تجارب خالصة لله، جرت في بيئات وأراضٍ مختلفة، لتمنح المسلمين منهجًا متجددًا في تربية الأسرة وبناء الشخصية المؤمنة

إعجاز القرآن وسنن التمكن

ثبتت قصة إبراهيم عليه السلام أن القرآن الكريم من عند الله العليم الخبير؛ فمشاهدها جاءت في سور متعددة، وضمن موضوعات مختلفة، وعلى امتداد زمن طويل من نزول الوحي، ومع ذلك لا يوجد بينها تناقض أو اضطراب قال تعالى: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [النساء: 82].

ويظهر الإعجاز كذلك في التناسق بين كل مشهد من مشاهد إبراهيم عليه السلام والسورة التي ورد فيها، من حيث المعنى والسياق والهدف ومن أبلغ الخواتيم قوله تعالى: {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ} [الحج: 27].

فهذا النداء الذي أطلقه إبراهيم عليه السلام ظل صداه قائمًا عبر القرون، يأتي الناس ملبين من كل فج عميق للحج والعمرة؛ فمن الذي أوصل صوته إلى الناس جميعًا إلا الله سبحانه وتعالى؟ إنه مشهد يؤكد صدق الوحي، ويجعل خاتمة القصة مفتوحة على واقع الأمة المتجدد

وتكشف القصة كذلك عن سنن الله في الحياة: فتعرض الأنبياء للتكذيب والابتلاء سنة ماضية، وكل تضحية تُبذل لله يعوّضها الله في الدنيا والآخرة، كما أن النصر والتمكين في الأرض لا يأتيان إلا بعد جهد وصبر ومعاناة وهذه المعاني ليست حكايات تاريخية، بل قوانين إيمانية يحتاجها المسلم في كل زمان

وفي النهاية، فإن ما دُكر من أهمية قصة إبراهيم عليه السلام هو بعض مقاصدها لا كلها، كما بيّن البدارين في الصفحة 19؛ لأن كل مشهد منها نزل في موضعه ليعالج واقعًا معيّنًا، ويحقق أكثر من هدف، ويجدد في قلب المسلم عهد التوحيد والطاعة واليقين بالله ﷻ

المصادر والمراجع:

قصة إبراهيم في القرآن الكريم، إسحاق محمد حمدان البدارين، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، عمان، 1992م ﷻ
الصلابي، علي محمد ﷻ إبراهيم خليل الله، دار ابن كثير ﷻ